

الصّوم في الدّيانة الهندوسية

Le jeûne dans l'Hindouisme

Mots clés : Hindouisme, Religion extrême orientale, Jeûne, Vie spirituelle, Ascèse

مقدّمة عامّة في الصّوم

١. الصّوم هو هو في كلّ حالات الاختبار الرّوحي والتطهير الجسديّ، انقطاع إراديّ عن متطلّبات الجسد المتنوّعة، غذائيّة وغير غذائيّة، وبحثّ عن مفقود في الحياة اليوميّة. عرفه الإنسان منذ انفتاحه على حياة الرّوح ؛ بعد مرارة الأوقات الصعبة المعلّمة ؛ بعد عجاج السنين وتقلّبات الحدود، المشلوح على رقعة متحرّكة. فكما هدّب الألم ذهن المتقدّم بين المخلوقات، وروّض الجوع والعطش كبرياء السيّد على المبروءات، عرف العاقل أنّ البقاء حليف الفناء ومتواطئ معه، وانكبّ يتمرّن على رقصة البدايات والنّهائيات، الفاصلة الواصلة بين الموت والحياة. لهذه الكوريجرافيا خطوةً واثنان في حيّز الصّوم المسنود إلى عمود التأمل حيث تسهر الإرادة الصلبة على عمليّة ذبح الجسد لتعطّر الآمال بالدم المهرق والبخور المحرق مع سائر البواكير المقدّمة، والصلاة، والأناشيد، والذكريات الممدودة نحو غدٍ آخر.

٢. صام الإنسان لأنّه استعذب قطرات الغيث الهاطل بعد قيظ وجفاف. وصان عقته بعدما استحمّ في أول بركة لأوّل ينبوع ماء زلال. وكلّل بأسه ولوّن وجنتيه بعدما استساع ومرى بالقليل الذي جادت به الوقيّة الحنون. صام لأنّه تعلّم الرّقص على حبل الموت وبقي في الحياة. صام لأنّه غفا على همس الكلمة ورنين الخلق في الأعماق. صام بعدما فتح الجوع شهيته على مائدة الرّوح المزدانة بألف لون ولون، وأدرك أنّ في الذات الملتهبة أكثر من حواس وأمعاء، وأبعد ممّا في مدى التّظر والأشياء، وأعمق من غوص الفكر في ما للأرض وللسماء. صام بعدما اكتشف أنّ للقلب غذاءً لا يملكه الغذاء، شراباً إكسيرا لا يجويه كأس، أيّ كأس. صام إذ تلمّس العدم منذ دغم هوان الجائع فيه بأهون الخيور وأقربها إلى الفناء، ففتح قلبه لمن لم يعرفه الأحياء، لا في الصحراء ولا على موائد الأغنياء.

٣. وإذا تفتّن المؤمن، في كلّ العصور والملل والدّبانات، في أوقات صومه، كما في إمساكه عن بعض أنواع الأطعمة، ربط تقشّفه هذا بما مسّ قلبه ساعة كان النّبض وتدققت فيه الحياة. لكن، بعدما كان الصّوم جواباً لوفاء، ما فتى أن انصاع لاحقاً لقوانين الرّعماء، تحوّل، كما تحوّل المدنيّة مجانيّة العطاء إلى سلعة بخسة بين كمّ الأشياء. وكما تُربط الصلاة بغائيّة علائقيّة، إجتماعيّة، وسياسيّة، يُكدن الصّوم إلى مشروع الدولة، فيحقّق فيها ما لم يجزّه له به صحيح العادات : عشوات، وإفطارات، وحلقات، وخطابات تُلهب الجماهير المستعدّة

لغذاء الجسد بعد نُخمة الرّوح. والنزوح من تاريخ البشر غير المستقرّين، الباحثين عن الصّورة كما في عين العقل، المتردّدين عن القبول بكلفة الثبات على القشعريرة الأولى. وحالنا من تحوّلنا إلى مسنّين لقوانين إجتماعيّة مسلكيّة، ترطب الخوف من العودة إلى ثورة الذات على الذات حيث تنضج ثورة الجوع على الغذاء.

الصّوم الهندوسيّ حلقةً أساسيّة في سلسلة التّعبد

٤. هذا ما استجدّ ودوّى في سلفيّة الحداثة عندنا، أمّا في رواية الصّائمين الهندوس فألف حكاية وحكاية، هدأه الذات الواعدة زبدتها، تُسكّب على مذبح الذات الغامرة، لكي تحكي ما إليه تصبو، وترسم في الخلوات صورة البعد النهيوي الذي صارتُه بعدما اجترته، عسلًا، تأملًا وصلًا وهديًا. رواية كتبها الهندوسيّ بعرق الجبين المتقطر دمًا على صخرة التجلي، الشاهدة لعودة على بدء، والضامن الأكيد لولادة جديدة، مستنيرة، ومؤلمة. وليس غريبًا عن المتن أن يُرافق تتابع الأزمنة لكلّ ولادة تراكم الصفحات التي خطتها أنامل السائرين، على لب الكور المُستعير في الأعماق، منذ المهد حتى اللحد. وهذه الجدليات العرّضية dialectiques transversales فصول تتابع كالدورات المتتالية، تعلقو وتهبط كلما أطلّ قمرًا أو تكثّف حجاب، فينشقّ الأوّل على خرقة الثاني، والذات مرآة تُصقل أمام الحدث المشير إلى الجوهر النوراني.

٥. نعم، يندرج حديثنا عن الصّوم، كما روته حلقات السانايّين (المتعبدين)، في سياق البحث عن الذات ومرافقتها حتى التحقيق النهائي. فلا هو بداية ولا هو نهاية، بل طريق بين الشّعب، وسلاحٌ يمتشقّه المحارب الصنديد، السادهو، (الراهب المتعبد) في وجه كلّ غازٍ لمدينة الباطن الرابضة على مشارف السكينة وفي جوار الآلهة المتعاطفة مع المستنيرين. في ذلك يتوانس الهندوسيّ مع زملائه ممّن شدّوا حقويهم وانتظروا، بشجاعة نادرة، جلاء العتمة التي قد تنصبّ خيامها في الجوار، حيث يريض الوحش منتهزًا الفرص للإيقضاء على غفوة العين أو سهوة البال. وفي ذلك، يواجه الصّائم قلة الموارد، في صحراء التجربة والتخطّي، بلا شيئية التجرد والتخلّي الوحيدة القادرة على الاستغناء والصمود أمام مارد الرغبة الشّبهة. وفي ذلك تفيض على الرّاغب عن ملذات الدّهر أنهار النّعمة، فيركب اللّحجّ حتى عباب البحر، فالعودة إلى التّبع.

٦. بين البشر الأوّلين الذين شرّعوا وقسموا حتى التمييز بين طبقات المجتمع، بين كاهن سيّد وعبدٍ خادم، لم ينسّ الهندوسيّ صوت الضمير المؤسّس، فجدد قراءته للنصوص وجال على الطبقيّة وتخطّأها، وصمّم على القفز

١. إذا حدّدت الماهابهاراتا أن البراهمان والكشاتريّا هم الذين يحفظون الصّوم بدرجة أولى، نجد فيها، بالمقابل، أن كلّ الهندوس، في مختلف طبقاتهم الإجماعية، أي الفايصيا والسودرا أيضًا، يجتهدون في الحفاظ على ممارسات تقويّة ماثلة لكي يصل الفرد المؤمن إلى مرحلة متقدّمة تؤهّله للتنعم بالخيرات السماوية أو للتماهي والطبقتين الأوليين من حيث السعي إلى الخلاص وتخطّي الفروقات الإجماعية. فما يصحّ مع وجهاء القوم من حيث ثمار الصوم الكثيرة يصحّ أيضًا مع الطبقات الدّنيا.

"It has been heard by us that only Brahmanas and Kshatriyas should observe the vow of fasts [...]. Angiras said, 'As regards Brahmanas and Kshatriyas, fasts for three nights at a stretch are ordained for them, O delighter of the Kurus [...]. As regards Vaisyas and Sudras, the duration of fasts prescribed for them is a single night [...] Indeed, for Vaisyas and Sudras, fasts for two nights have been ordained (on certain special occasions). Fasts for three

فوق التفرقة والتمييز، لكيما بصومه يُصَوَّن بيته ضدَّ هجمات الأوزورا (شبه الآلهة الشريرة المناوئة للديفا آلهة الخير) وكلِّ الرغبات السيئة التي تحوّل دون ولادة جديدة فضلى. والصوم في قاموسه التجريبيّ اليوميّ، سوّر حصينٌ يوطّر حياة لا طبقيّة فيها ولا تمييز بين سيّد وعبد. الصوم عند المؤمن لا يفرّق بين طعام وآخر، وإن بدت عليه نباتيته، ويرفض العنف في كلِّ أشكاله، بخاصّة قتل الحيّ بين الكائنات، مضى يشكر الأرض على مواردها، مصنّفًا ذاته الثابتة بين خيورها.

الصوم تعليمٌ حكمي

٧. في إصغائه لصوت الضمير، وفي ارتماؤه على الوعي، يصوغُ الهندوسيُّ قانونه الغامر الجامع. الجامع، أي الذي يجزّز من الخصوصية الفردية ويربط من جديد بالكلّ. لذا تتمحور أعمال الهندوسيّ الفكرية والعملية على التعليم الأساسي المكتوب على شرائح الذات في كلِّ ذات. هكذا تكون الدهارما (التعليم العقائدي) شرعة السماء الجوقية، باطنية الأنا الفوقية، لا قانون لها ولا تحاديد إملائية، بل اندفاع تلقائي لمن نقى الروح والجسد من كلِّ إشارة إرادية، عادية كانت أم إستثنائية، في سبيل المعرفة الحقّة التي تتركز على الزهد والسيطرة على الذات، والأعمال الخيرة؛ وتكون الفيذا (الكتب الحكمية المقدسة) كلّها أعضاء لها والحقيقة مسكناً^٢.

٨. في هذا الإطار نفهم تعاليم الأوبانيشاد (كتب حكمية تفسيرية تُدرّس على يد معلّم متقدّم) القائلة بوحدة الوجود المتخفية وراء ثنائية التكوين، من حيث اشتقاق الكلّ من الأحد. إنه الصوت الأول الذي ترددت أصداؤه في الأنحاء مولدة تارةً هذا وتارةً ذاك، مروراً بالعناصر الطبيعية الأربعة المضافة إلى خامس من رحم الذات الأولى، وكلّها إذما استنارت عكست لونَ الذات العليا، مذاقها ورونقها! :

" **Om** أوم. الذي يعرفُ البراهمن (الذات الكلية، أو "الله") يبلغ العليّ. في هذا السياق، يتمّ تسجيلُ التعويذة *Mantra* التالية : "من يعرفُ براهمن الذي هو الحقّ والمعرفة واللامحدود، المخفيّ في مغارة القلب وفي الكائن العلويّ أكاسا^٣ (الأثير)، الواحد مع براهمن العليم، يتمتّع، في الوقت نفسه، بكلِّ الرغبات. "من آتمن (الذات الفردية) وُلد أكاسا؛ من أكاسا، الهواء، من الهواء النار، من النار الماء، ومن الماء الأرض، من الأرض الأعشاب،

nights, however, have not been laid down for them by persons conversant with and observant of duties. [...]. He who performs sacrifices for adoring the deities on the fifth and sixth days of the moon, transcends all the members of his family and succeeds in feeding a large number of Brahmanas [...]. " *Mahabharata*, Anusasana Parva, Section CVI

بالمقابل، إذا ورطت الأخطاء حسارة المكانة الإجتماعية الخاصة بطبقة معينة ساعد الصوم على التكفير عن هذا الذنب واستعادة المكانة.

Manu Laws, XI : 260. "But if (a man) fasts during three days, bathing thrice a day, and muttering (in the water the hymn seen by) Aghamarshana, he is (likewise) freed from all sins causing loss of caste."

2. « De cette connaissance, austérité, conquête de soi, et œuvres sont la base, les Védas sont tous ses membres, la vérité est sa demeure. » *Kena Upanishad*, IV: 7

3. أكاسا، تأتي من كاش وتعني فيما تعني : (أن تشعّ، أو تضوي، وقد تعني أحياناً الروح)، مبدأ الحياة الحال في الكلية البنية الأساسية وجوهر الأشياء، في العالم الماديّ؛ فأصغر العناصر المادية يأتي من الأثير. أكاسا هي القدرة النائمة في حضن الأشياء جميعها، والتي تنتظر صوت معيها إلى الوعي الكليّ، من حيث إنّ ميزتها الخاصة هي شابلدا (الصوت) وقد تعني في السنسكريتية المكان، أي عنصر الخلق الأول. تشبه إلى حدّ بعيد عملية تحوّل الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح القائم من الموت *Transubstantiation*.

ومن الأعشاب المواد الغذائية، ومن المواد الغذائية الإنسان. هذا الإنسان يتكوّن حقًا من جوهر الغذاء. هذا هو، في الحقيقة، رأسه، والذراع الأيمن هو العُصْبُ الأيمن، والذراع الأيسر هو العُصْبُ الأيسر، وهذا الجذع هو جسده...^٤

٩. لا شك في أنّ المتبصّر، السالك في درب الانعتاق يهّمهُ، أولاً وأخراً، أن يعرفَ ويزيدَ في المعرفة، وليس بمقدوره ذلك إلاّ بمعدّل اعترافه بانتمائه الأرضيِّ أولاً، ثمّ الأثيريِّ تاليًا، فالعلويِّ أخيراً. وفي الإعراف انسلخَ عن مُكتسبِ آبيّ، وجعّ دائمٌ يتردّد في مراحل المعرفة المتعاقبة. فمع تحديده لتراتبية زمنية في العناصر الأربعة يُكسبها الهندوسيُّ بعدًا ما وراثيًا، تكوّن أولى تجلّياته الملموسة أكاسا، الأثير الرابض في مُخدع الجوانية العميقة، ومولّع شرارة التدنّين، والتصوّف، والتحرّر، والتعلّق بالكلّ. في أتونه تستعُرُ طابًا *Tapas*، الحرارة الرّوحية المسؤولة عن كلّ عمليّة تجاوزٍ للأنا الذاتية باتجاه الأنا الكلية. قد تُسمّيها حرارة الإيمان، أو حرارة التقوى، أو حرارة التّزوج فالانعتاق من شرنقة المادة. فلنسمّها ما نشاء، إنّها القوّة الدافعة، والرّافعة، والخلافة، والمخلّصة، وهي التي تستهلك طاقات الصّائمين لتحوّلها إلى ضياء المستنيرين. وهي معرفة حقّة من دونها يتيه الصّائم في غياهب الجهل المعتم حيث ينتظره بالمرصاد ياما (إله الموت) ومن لفّ لقه من تابعين غيورين. نعم، في الصّوم الهندوسيّ اكتتابٌ في مدرسة الحياة اللاعبة على الموت فالولادة الجديدة حتى النّصر النهائي. وكما يبحث الإنسان عن غذائه الجسديّ والروحيّ في العناصر الطبيعيّة الأربعة ومنها يتغمّس في الخامس استعدادًا للقاء الأخير، نراه، في وعيه الكامل، ساجدًا فوق العناصر كلّها، صائمًا عن كلّ شيء في سبيل الكلّ. وإذ خطرت له فكرة الموت الإراديّ في انقطاع تامّ عن كلّ مأكّلٍ ومشرب، حوّل الأهميما من لا عمل في العمل إلى عمل سام في اللاعمل؛ من لا عنفٍ باتجاه أيّ مخلوق إلى عنفٍ ضدّ اللاشيء. وفي هذا قيمّة المعرفة التي تترى، بوضوح تامّ، الأنا في الماء المالح، كما في أيّ وعاءٍ آخر، وتجعلها تقول: تات فام آزي (هذا هو أنا).

١٠. لهذه الفلسفة الوجودية والتّقوية عند الهندوس أبعادًا إجتماعيّة وإنسانيّة عميقة جدًّا: فيلّي جانب أهميّة الصّوت الخالق والمذكّر باستمرار أنّ "جوهر الإنسان هو الغذاء"، وأنّ حياة الهندوسيّ لم تكن دائمًا ترفّة وهنيئة وسهلة العيش، بل عرفت أوقات شدّة وتشرّد وجوع وغيرها من مصائب الدهر وويلاته. لذا، ولأنّ

⁴ *Taittiriya Upanishād – Petal VI, By T.N. Sethumadhavan, CHAPTER 2 – BRAHMANANDA VALLI December 2011, p 33*

نجد شرحًا واقفيًا لعمليّة الخلق هذه في شرائع مانو، الفصل الأوّل: ٧٤ - ٧٨

°. إنّها محاولات جادة نجدها بمخاضة عند الجانية حيث يمتنع التقويّ عن الأكل حتى الموت بغية التحقيق الروحيّ. تسمّى هذه العمليّة برايوافيسستا وتعني من يبقى جالسًا وينتظر بمدهو كلي اقتراب الموت ممتنعًا عن الطعام.

نجد في يوميات مانو غاندي التي رافقت المهاتما في تنقلاته الأخيرة بين ١٩٤٦ و ١٩٤٨ تأكيدًا واقفيًا لهذه القناعة الرّاسخة حتى الموت: "يستحيل عليّ (المهاتما غاندي) أن أكل أيّ شيء في مثل هذه الظروف. حتى الفطور هذا الصباح كان خطأ. ليس هناك من نهاية للحنون البشريّ. لهذا السبب كان على الإنسان أن يتأمّل. [...] حوالي منتصف الليل، يقول لنا بابو: " يجب عليكم ألاّ تحضروا طعامًا لي ابتداءً من غد." لم نفهم في الحال ما كان يريد أن يقول. ولكنه أضاف: "أبدأ صومي غدًا." سأله عندئذ أيما: "كم يومًا سوف يمتدّ صومك؟" فأجاب: "ليس هناك من وقت محدد. سوف يستمرّ الصّوم طالما السلام لم يُنجز بعد. لن أشرب سوى الماء، مع بعض البيكربونات أو الحامض، إذا كان ذلك ضروريًا. لنجح أو أموت. لا يمكنني إلاّ أن أموت إذا لم يتحقّق السلام." كالكوتا في الأوّل من أيلول ١٩٤٧

<http://www.pondichery.com/26yf/Inde/JeuneCalcutta.html>

الغذاء هو الجوهر، هو الحاجة الأولى والرغبة الأساسية، (الغلمة) عند كل حي، كثيرًا ما توجه الهندوسي إلى صاحبه بالقول: "هل أكلت اليوم؟" وكأنه يسأله: "كيف حالك؟" وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية المخزون اللاواعي للسؤال. فالصحة من جودة الغذاء ووفرته، وهم الإنسان الأول هو أن يأكل. فيأتي الصوم ليحرق نظام الطبيعة ويغيّر في مسار الأحياء فيها، مفتشًا عن تلبية الحاجة قد تكون في نظره أسمى، وأهم من الطعام، لأنها تطول الجوهر ومعنى الرّبط بين أن تأكل وتُسعد، وبين أن تأكل أو لا تكون.

١١. قد يسمح لنا القارئ العربيّ بعجالة تفسيرية، من مخزون معجمه اللغويّ، والتي تعكس بوضوح تامّ شمولية الحاجة وعولمية انفعالات الفكر الضاربة على وتر المأساة الوجودية. فالوجع والجوع من طينة واحدة، بحيث أقول: إني مو-جوع وكأني أقول: يأكلني الجوع، فأنا جائع. جائع إلى الصحة، إلى ملء جوف، إلى ترطيب شفة وشدّ أوصال. والوجع الوجودي الأول والأخير هو الموت الذي ينتظر على مفارق الحياة وتحت كل حقة وجسر. ولأن جوهر الإنسان غذاء، يطول الوجع هذا الجوهر، دونما استثناء، كلما شعرت بالجوع. والصوم تحدّ ما بعده تحدّ لهذا العدو القديم وقاطع الطرقات. في الصوم ينتفض كبرياء الإنسان على مادّيته الزاحفة وراء حبة أرز، ويوجه طرفه نحو إمكانيّة التفلّت من قيد محوّلًا وجع البطن إلى جوع إدراكيّ لمعقوليّة الففز نحو مصدرية الجوهر الأخير.

الصوم والعودة الدائمة

١٢. نظرة سريعة إلى حياة الهندوسي، التي شاء قسّمها إلى أربع مراحل تُوافق المجموعات الكتابية الأساسية الأربع، تسهّل فهم مكانة الصوم ودوره في حياة المؤمن الهندوسي.

— مرحلة التنشئة الأولى في البيت ومع صديق مؤتمن على التربية الصحيحة، تتوافق ومجموعة الفيذا بكلّ أساطيرها وقصصها التعليمية الرائعة التي تقرّب الإنسان من الكون والله، راسمة الأطر الأساسية لخطواته اللاحقة وقد نُسجت على نول الليتورجيا الذبائحية الرهيفة، وإن لم تخلّ من بعض العناصر والألوان الشعبية والإثنية والطبقية.

— في مرحلة ثانية، مرحلة تأسيس العائلة وبناء الصورة الإجتماعية الفضلى، لأبي طبقة انتمى، تتوافق أيضًا ومجموعة الكتابات البراهمانية، خاصة الكهّان والمسؤولين، وفيها تعاليم الكهنوت، تحليلًا ميتوسيًا، عقلائيًا، مُنسجمًا وتقدمة الذبائح والغناء وغيرها.

— في مرحلة ثالثة، تبدأ رحلة أولى فريدة عند الهندوس وهي مرحلة التخلّي عن العائلة، بعدما شبّ الأولاد، وبلغوا رُشدَهم، وصاروا قادرين على مسك زمام أمورهم بيدهم. يترك الوالد بيته - في بعض الأحيان مع شريكة حياته، محافظًا على "طقسية الصوم" في مسكنة عفيفة - ويتوغّل في "غابة الإماتات"، لابسًا الدجاتا والفالكالالا، (ثوب التقشّف الصّارم المصنوع من جلد الغزال وقشور

الأشجار)، ومقتاتاً بالجدور والأعشاب المرّة، لينصرف، في أعمال الزهد على اختلاف أنواعها، إلى التحضير لشيخوخة كريمة، صالحة تؤهل لعودة جديدة أفضل. وهذه المرحلة تتوافق وكتابات الغاب، الأرانياكا التي هي مجموعة طقوس وشعائر تطهيرية تشدّد على الوجه الصوّفي للفيدا.

— أما المرحلة الأخيرة والأهمّ فهي مرحلة التخلّي الكلي، والتوغّل أكثر فأكثر في الحياة التّسكّية المتفردة (يترك زوجته أيضاً) حيث يمضي الهندوسي باقي حياته في أقسى الأعمال التقويّة والتأمّلات والأصوام، حتى الذوبان في الذات الكونيّة وتحقيق الوحدة، فالمعرفة الحقّة، فالسلام النهائيّ واللاعودة؛ وهذه المرحلة المتقدّمة في اختبار الصّحراء تتوافق وكتابات الأوبانيشاد التي تتّصف ببعدها الفلسفيّ والتصوّفيّ العميق والمتقدّم، حيث يصفو الكلام عن وحدة الذات الفردية والذات الكونيّة.

١٣. هكذا يرى الهندوسي، في حواسه الست مجتمعة^٦، شرعة الانتقال بين ضفتي الحياة. والصّوم، في مجموعة وسائل النقل المتنوّعة، من أهمّها؛ ولو اقتصر، في ما اقتصر، على الإمتناع عن الطعام وترويض الجسد، وتهديبه، مدّ بساطه لخيرات الحياة، حلوها ومرّها، والدعاء عيش. ولأنّه تعبيريّ ناشط لتوبة المرّيد المغامر، تبدأ معه وحدة الذات بين جسد وروح، بين رغبة وإرادة، بين قوسٍ وسهمٍ وهدف^٧، لترتفع على غمام الأيس (القهر) في لحظة التخلّي والتجليّ فالتخلّي، لحظة الحسم بين أن تكون أو لا تكون.

موانع الصّوم

١٤. عمّ امتنع الهندوسي ويَمّ متّع الحواس الست؟ بدهة الأجوبة الأولى ركيّزة لصوم اللاحقين من أهل التقوى والفضيلة والدين. في هذا السياق تنقيّة للمعنى وتصويب^٨ : الصّوم للتطهير^٩ في سبيل ولادة جديدة، والآليّة صورة عملائيّة لتوبة الذات عن ذنب الكارما المتدثّرة بثوب الأنا الرّاغبة بلا حدود. توبة رّاغبة بالموت قبل الموت، لتوكّد على صمود الحياة أمام العدم، وتمزّق غشاوة الجهل في عين العارف، ولتسرّع دقات الشجاع

^٦ الحاسة السادسة هي حاسة ما فوق الذهن *Supramental*. وهذه من الفرائد في الفلسفة الشرقيّة حيث الذهن وعمل العقل من أعمال الجسد الحسيّة القادرة على التخطيط، فطرح اللاّمحسوس.

^٧ إنّها المندوكيا أوبانيشاد التي تفسّر معنى لفظة الخلق الأولى وقد أودعت تردّد موحاتها سرّ الوصول بعد حدوث، إذا قالت عن أوم : " إنّها القوس، ونفس العابد هي السهم، أما الهدف فيراهن ذاته. لا أحد يمكنه أن يصيب الهدف إلا من كان صاحب مهارة موثوق بها، إذ علينا أن نصير واحداً معه، أي هدفاً، ونبقى في الوقت عينه سهماً." مندوكيا أوبانيشاد، ٤، ٢:٢. ترجمة عن الإنكليزي :

The Sacred Books of the East, The Upanishads, Translated by F. Max Müller In two parts, Part II, "Mandukya Upanishad", II: 2,4, Oxford, the Clarendon Press, [1884], Scanned, proofed and formatted at sacred-texts.com, 1997 and 2003, by John Bruno Hare.

^٨ "من يضبط نفسه ولا يرتكب أخطاءً ويصوم مدّة اثني عشر يوماً يسمى باراكا كريكهرا وهذا ما يطهر من كلّ الآثام." *Manu Laws XI* : 216

ويكون الصّوم، في هذا السياق، ضريبة تطهيرية إصلاحية يدفعها من يخالف القوانين ولا يمثل لبعض الفرائض كما تنصّ عليها الكتب المقدّسة ويعلمها المستنيرون:

"الصوم لثلاثة أيام (ليلاً نهاراً) هو (قصاص السارق) العشب والخشب والأشجار، والمواد الغذائية الجافة والديس والملابس، والجلود، واللحوم." *Manu Laws XI* : 167

"الصوم هو قصاص عدم المحافظة على الطقوس اليوميّة كما تنصّ عليها الفيدا بخاتمة إهمال الواجبات سناتاكا (المتعلّقة بتلاميذ المعرفة)" *Manu Laws XI* : 204

"المولود مرتين الذي ينفذ (قصاص كريكهرا) كما يوضّح براغاباتي يجب عليه أن يأكل طيلة ثلاثة أيام في الصباح فقط، وطيلة ثلاثة أيام تالية عند المساء فقط، وطيلة ثلاثة أيام يأتيه الطعام من دون طلب، وعليه أن يصوم طيلة الأيام الثلاثة التالية كاملة." *Manu Laws XI* : 212

القادر على تحويل الأذنين إلى عينين واليدين إلى جناحين. عُصارَةُ القلب هي الغذاء الوحيد في شحّ الموارد الطقسيّة والممارسات التقويّة، سرّ الدّفْع العاموديّ المشترك، وحبكة الجدليّة العرُضيّة الرافعة. في هذا كلّه دعوةٌ للعمل الدؤوب الذي لا يعمل إلاّ لما فوق الأنا في الأنا الرافضة لعمل الأنا. بداهة أولى، تلقائيّة فقيرة بمخائيّة غنيّة. غلمةٌ أو حدسٌ، أو قبسٌ من نور، ما همّ ! فالمستطاع شراعٌ تحوكه أناملُ الزهد، والمتن يراع على كتف الأبدية.

١٥. عملٌ للأعمل، هذا معيار التوبة الثلاثيّة التي أوضححتها لاحقاً تعاليمُ البهاغافات جيتا : توبة الجسد، ثمّ توبة اللسان فتوبة الذهن. في صوم الجسد واللسان والذهن، ثلاثيّة توبة وُحِدت ذات الهندوسيّ، فتعرّف على ذاته، وأحبّ ذاته، هائمًا في عشق أرجونا الشجاع (أحد أبطال الملحمة)، أرجونا البطل الذي وضع يده في يد كريشنا (تجسيد للإله فيشنو) وانتصر، معترفًا مقتبلاً أحقيّة العمل من أجل الخير على اللا عمل الذي قد يفسح في المجال للشّرور أن تتكدّس.

"مُستلقياً في الوحدة، يأكلُ قليلاً، مُسيطرًا على الكلمة، والجسد والذهن، دائم الإلتزام بالتأمل والتركيز، يلجأ إلى انحسار الرغبة الجامحة،

مُبعدًا عنه حسّ الأنا، القوّة، الكبرياء، الرغبة، الغضب، الإستثثار، بدون أنا، هادئ الفكر، يتأهل (السانيازي) إلى الوحدة مع البراهمن." (بهاغافات جيتا، ١٨:٥٢ و ٥٣)

— التوبة الأولى صيام عن الملذّات في أشكالها المتعدّدة : طهارة الإناء، إستقامة، وعفة، ولا عنف على الإطلاق^٩ (بهاغافات جيتا، ١٧: ١٤) ؛ في هذه المرحلة الأولى اهتمامٌ بالجسد حتى القهر فالصلب الإراديّ (الصوم حتى الموت، ماهابهاراتا، ٣)، كما أشرنا سابقًا. وكأنّ اللحم والدّم، وما لفّ لِقهما، وإن تلقّفتها رقة عين نورانيّة، سبيلٌ إلى ما إليهما دُعيًا، رمادٌ، فناء، فركوبٌ في زوبعة، قد تُعيد لمّ الشمل بعد انحلال. لذلك عمل إنسانُ الهند، على طريقتة، في حقل التّشذيب والتّقليم، والتّلطيف، لأنّه آمن بأحقّية الحياة على الموت. فوقف في وجه القابض، وتنقّل بين يدي ياما (إله الموت)، وانسلّ من تحت أسنانه، ليعودَ بطلاً يُصرعُ من جديد. وفي عمليّة التّطهير هذه فنونٌ أثبتت مع الأيام فائدتها كلّما عزفت على وترٍ من أوتار الجسد الرّهيف، وناغمت بين النّبض والصّوت والفكر، فاحترم وكرّم كلّ جسدٍ حيّ، مختارًا عِذاءه بعناية فائقة أو مُستعطيًا ما تجودُ به الأيدي الكريمة.

^٩ . إنّها اعمال شديدة الشبه بما تمارسه الجاييّة، أحدى أهمّ الفرق الهندوسيّة التي تطرقت في التّعبد، وجعلت من حياة المجتمع المدني محبسة عصرية واسعة النطاق. فللجاييين خمسة ندور:

- أهيمزا : مبدأ الأضعف تجاه كلّ المخلوقات الحيّة (يكتمل باعتماد نباتيّة غذائيّة صارمة)
- أستيا : مبدأ اللّا سرقة واللّا شهوة
- ساتيا : إحترام الحقيقة في كلّ قول، وغياب للكذب
- أباريغراها : لا تملك، فقر كامل، تجرد مطلق
- براهماكاريا : امتناع عن اللذات الجنسيّة، عفة وطهارة

— هكذا تُكَمَّلُ التَّوْبَةُ الثَّانِيَّةُ سَمْفُونِيَّةً التَّجَاوُزَ بِتَرْفَعِهَا عَنِ الْإِسَاءَةِ حَتَّى فِي التَّعَابِيرِ، وَبِرُكُونِهَا إِلَى الْحَقِّ دُونَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ. وَتَتَرَيَنَّ بِمُفْرَدَاتٍ لَطِيفَةٍ، وَحَلِيمَةٍ، لَا تُؤْذِي أذْنَ السَّامِعِ، وَلَا تُشَدُّ عَنِ لَحْنِ الطَّبِيعَةِ الْوَادِعَةِ. وَهَكَذَا يَسْتَمِرُّ الْهَدِيدُ لِيلاً نَهَارًا، وَيَتَوَاصَلُ الْإِحْتِرَازُ لِأَسْمَى مَعَانِي الْفَيْدَا، الَّتِي نَظَّمَتْ لِلْسَّانِ أَحْقِيَّةَ الْبَدْءِ وَالْحَتَامِ. وَالْمَانْتِرَا^{١٠}، أَيًّا كَانَتْ، هِيَ التَّمَوِجُ الصَّائِفِ لِمَا يَتَرَدَّدُ فِي أَعْمَاقِ الْأَنَا وَيَعْلُنُ عَلَى الشَّفَاهِ : رَجْفَةُ الْحَيَاةِ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ (بِهَآغَافَاتٍ جِيَتَا، ١٧ : ١٥)، دَقَّةُ الْمَصِيرِ عَلَى بَابِ الْأَمَلِ.

هنا تتأطر مفاهيم الصوم بين انفعالين طبيعيين يُقدِّمُهُمَا الْمُؤْمِنُ عَلَى مَذْبَحِ الذَّاتِ قَرِيبَانًا دَائِمًا وَأُضْحِيَّةً مُسْتَدَامَةً، كَمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُصَوِّرَ : إِنَّهُمَا الْكَلِمَةُ وَالتَّنَفُّسُ. فَطَالَمَا نَحْنُ نَتَكَلَّمُ نُضْحِي بِالنَّفْسِ، وَكَلَّمَا تَنَفَّسْنَا ضَحِينَا بِالْكَلِمَةِ، إِذْ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ وَنَتَنَفَّسَ فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ. وَقَدْ رَأَى الْهِنْدُوسِيَّ فِي هَذِهِ التَّقْدِمَةِ الطَّبِيعِيَّةِ أَمْوُجًا مِثَالِيًّا لِكُلِّ تَضْحِيَّةٍ بَغَالٍ وَنَفِيسٍ. وَالصَّوْمُ عَنِ مِلْدَاتِ طَبِيعِيَّةٍ وَحَاجَاتِ يَوْمِيَّةٍ لَا قِيَمَةَ لَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَبِيلِ إِفْسَاحِ الْجَمَالِ أَمَامَ تَلْبِيَّةِ حَاجَةٍ أُخْرَى أَهَمَّ أَوْ، أَقْلَهُ، بَذَاتِ الْأَهْمِيَّةِ. فَتَوْبَةُ اللِّسَانِ تَجْدُ مَعْنَاهَا الْأَقْصَى فِي عَمَلِيَّةِ التَّنَفُّسِ وَضَبْطِ إِيقَاعِهِ، وَالَّتِي تَتَنَاغَمُ وَسَكِينَةُ الذَّهْنِ لِأَجْلِ تَنْوِيرِ جَسَدَانِيٍّ هُوَ الْغَايَةُ الْأَخِيرَةُ لِكُلِّ اجْتِهَادٍ رُوحِيٍّ.

— ولكي تنجح عمليَّة الصَّغْلِ هَذِهِ، كَانَتْ التَّوْبَةُ الثَّلَاثَةُ غَوْصًا أَعْمَقَ، فَصَوْمًا عَنِ الصَّحِيحِ الْفِكْرِيِّ : إِيمَاءَةٌ لِلْعَقْلِ، الْغَيْبِيُّ بِأَفْكَارِهِ وَتَصَوُّرَاتِهِ وَتَحْيَلَاتِهِ، كَيْمَا يَعْثُلُ وَيَلْجَأُ بِدَوْرِهِ إِلَى الْهَدْوِءِ، فَالسَّكِينَةِ، حَيْثُ الْعَذُوبَةُ وَجَمَالِ الصَّمْتِ الْخَالِقِ الَّذِي يَمَلَأُ الْحَوَاسَ وَيُغْنِيهَا. فِي هَذَا تَتَمُّ عَمَلِيَّةُ ضَبْطِ النَّفْسِ، وَيَتَحَكَّمُ الْمَرْءُ بِلا شَعُورِيَّةِ الْإِرَادَةِ الْغَالِتَةِ وَالْمَتَمَرِّدَةِ فَيَكْدُهَا إِلَى مَحْرَاطِ حَقْلِهَا وَيَمْضِي بِهَا صُغْدًا نَحْوَ طَهَارَةِ الْفِكْرِ وَالْإِسْتِنَارَةِ. (بِهَآغَافَاتٍ جِيَتَا، ١٧ : ١٦).

١٦. من هذه المثاليَّة الفكرية المتجسدة في التاريخ البشريّ تتحدَّرُ حِكَايَةُ الصَّائِمِينَ الْهِنْدُوسِ وَتَتَصَقَّى عَلَى نَارِ التَّجْرِبَةِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ. كُلُّ الْحِكَايَاتِ عَلِمَتْ الصَّوْمَ، وَكُلُّ الْأَسَاطِيرِ لَوَّتْ وَرَسَمَتْ دَرُوبًا وَأَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً لِتَجْرِبَةٍ وَاحِدَةٍ، لِهَدَفٍ وَاحِدٍ، وَلِتَحْقِيقِ وَاحِدٍ : وَحْدَةُ الْأَنَا الْمَجَاهِدَةِ وَصَفْوَةُ الْأَنَا الْمُتَعَالِيَّةِ. الرَّامَايَانَا، وَالْمَاهَابَهَرَاتَا الْمَلْحَمِيَّتَانِ، كَالْأَرَانِيَاكَ وَالْأُوبَانِيَشَادِ اللَّتَيْنِ تُفَسِّرَانِ الْكُتُبَ الْحِكْمِيَّةَ الْمُقَدَّسَةَ، الْفَيْدَا؛ كُلُّهَا تَجْدُ فِي الصَّوْمِ طَرِيقًا تَطْهِيرِيًّا يَنْفُذُ إِلَى الْبَلُوغِ التَّهَائِيِّ الْمَضْمُونِ النَّتَائِجِ^{١١}؛ وَقَدْ تَأَكَّدَتْ الْعُودَةُ فِي الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ حَتَّى الْخِلَاصِ النَّهَائِيِّ، حَيْثُ الْمُوكَشَا وَالنِيرْفَانَا وَالْحَيَاةُ الْبَاقِيَّةُ عَلَى اسْتِنَارَةِ أَبَدِيَّةٍ.

^{١٠}. المانترا عبارة تأملية، تعويذة، قد تكون في بعض الأحيان كلمة واحدة، ككلمة أوم OM التي يردها البوغيون باستمرار في عملية اجترار وهذيد مستمرة حتى النشوة فالاستنارة.

^{١١}. لأن التأمل في الصوم باحث في جوهر الأنا الوجودية التي تنماهى وما به تنغدى لتصير قوّة إراديةً ومجاوبيةً لا مثيل لها كما تعلم الأوبانيشاد : "الغذاء أكبر من القوّة. ومن يتأمل في

الغذاء، كرمز لبراهمن، يحصل على كلّ الغنى المنشود في العالم من طعام وشراب. ويمكنه، بفعل إرادته الحرة، أن يصل إلى أبعد ما يصله الغذاء. [...]"

"Shandogya Upanishād", dans *Les Upanishâds, Source de sagesse*, Traduit en français par S. Nityabodhânanda, Maisonneuve et Larose, 1997, p. 209

الصّوم على أرض الواقع

١٧. لكي نفحص أكثر في حيثيات الصّوم الهندوسيّ، في روزناماته الكثيرة وفي مركزاته التعبدية المتعدّدة، نظرةً شاملة، غير حصريّة وغير كافية لممارسات لا زالت محترمةً وقائمةً، ومعمولاً بها حتى اليوم^{١٢}.

بدايةً، تعريفٌ لغويّ سنسكريتيّ بالصّوم وتحليلٌ طقسيّ : الصّوم هو *أوپافازا Upavasa* ومعناها "البقاء : (فأزا) بالقرب من : (أوپا)"، وفي هذه الحال قد تعني "الإنوجاد في حضرة الله، بالقرب منه ومعهم، والمثول أمامه"؛ وفي حالة الهندوس تعني القبول بامتصاص الذات الكلية للذات المتعبّدة، وهذه هي الغاية القصوى التي تحدّثنا عنها أعلاه. من هذا المنطلق التّعبدية تأتي التّدور ومنها نذر الصّوم، *فاراتا Vrata*، أو ممارسة التركيز، السيطرة على الذات وضبط الحواس الخمس كما في التمارين اليوغية. هكذا لا يكون الصّوم غايةً في ذاته، ولا ممارسةً تقويّةً مُستقلّةً مقطوعةً عن باقي الممارسات، بل هو حلقةٌ هامّةٌ وأساسيةٌ في عمليّة صقل الذات الرّغبة بالأقصى وبالكلية.

من تسميات الصّوم الأخرى *أناساكيانا* الموافقة ل *براهماشاريا* حسب الترتيب التقويّ والتقليد الأبائي. وإذا كانت *شارا* تعني تصرّفًا ما أو سلوكًا مُعيّنًا، ولعلاقتها ببراهمن، تكون بالتالي سلوكًا أو تصرّفًا براهمنيًا كليًا، تقوم أساسًا على كبح النفس والشهوة، وهي عقّة السانيازين الحقيقيين، فتميّز الساعي، السالك بما هو لبراهمن دون سواه، لأنّه يجيأ لبراهمن، ووفق تعاليمه ورسومه، وقد وقف عقته له^{١٣}. مع هذا التفصيل تبدّى معالم التقوى الهندوسية الجامعة التي تُسهم في ترقية المؤمن إلى الحالة الروحية المرجوة، والتي تفترض أكثر من ممارسة تقويّة واحدة.

١٨. مع هذا التوصيف العام للصّوم الهندوسيّ ننتقل إلى الخاصّ وأشكال الصّوم المتعدّدة التي تتراوح بين صوم كامل ودائم : *نيتيا nitya* ؛ وصوم جزئيّ تحدّده بعض الظروف والمناسبات الخاصة *نايميتيكا naimittika* ؛ وبين صوم في سبيل تحقيق رغبة ما، *كاميا فاراتا kamya vrata*. ولكي تكون محاولتنا مقتضبةً بقدر الإمكان، نظرًا لكثرة أنواع الصّوم وتعدّد ألوانه بحسب وفاق النظامين الشمسيّ والقمريّ، كان علينا أن نضع هذه المعلومات في جدول هو التالي :

^{١٢} . لا شكّ في أن تعاليم مانو وشرائعه كان لها تأثير كبير على حياة الهندوس بشكل عام. وهو يعطينا في الفصل الخامس ما يكفي لكي تتكوّن عندنا رؤية واضحة لممارسات الصوم والتي تأتي في غالبيتها كفروض أو كتعويض تطهيري وتكفيري عن ذلّة ما. مثل على ذلك : إذ أساء أحد إلى أكبر منه أو قلل في احترامه له عليه أن يستحمّ ويصوم طيلة النهار. (٥ : ٢٠٥). بالمقابل نجد عنده تعليمًا خاصًا بالنساء، فهذه الأخيرة تُعفى من الصوم إذا كانت مطيعة لرجلها وهذا كاف لكي تتمخّذ في السماء. (٥ : ١٥٥)

Lois de Manou, Traduction G. STREHLY, ERNEST, LEROUX, ÉDITEUR, 1893

^{١٣}. *The Mahabharata, Santi Parva, Section CCXXI, Translated by Sri Kisari Mohan Ganguli*

أنواع الصّوم حسب الروزنامة الهندوسية العامّة

نوع الصّوم	الإهداء	الوقت	الممارسات	الفائدة
نيتيا <i>nitya</i> : كلّ يوم وهو صوم كامل ودائم	لأكثر من إله	قد يكون ليوم كامل أو لشهر أو دائماً، بلا حدود،	الانقطاع عن بعض أنواع الطعام بصورة دائمة ونهائية مع تركيز على طلب التّعم من آلهة معنيّة بالطلب	النجاح في أمر محدّد كالصّحة، وطلب التّعم الدائمة للحصول على عمل جيّد، أو النجاح في الأعمال وبخاصّة في الزواج
نايميتيكا <i>naimittika</i> : جزئيّ تحدّده بعض الظروف والمناسبات الخاصّة	ليس هناك من إله معيّن	الوقت مرتبط بالاحتفاليّة المذكورة والتي تتراوح بين يوم وثلاثة أيّام أو حتى شهر كامل	وهذا هو الأكثر رواجاً لتعلّقه بمناسبات احتفاليّة معيّنّة، أعياد تخصّ الآلهة	أولاً للتطهير من أدناس عمل مشين ارتكبه المؤمن. ومن ثمّ للتطهير من كلّ أعمال الكارما أو الرغبات الأساسيّة التي تشدّ إلى المادّة
كاميا <i>kamiya vrata</i> : صوم في سبيل تحقيق رغبة ما محدّدة	ليس هناك من إله معيّن	هذا الصّوم يرتبط أيضاً بالمناسبة الخاصّة وقد يكون فردياً أو جماعياً. من بينها الصّوم نهار الإثنين والانتقطاع التام عن الطعام	قد يكون غالباً في الانتقطاع عن بعض الطّيّبات أو المأكّل المعيّنة في سبيل تحقيق الأمنية المختارة	تحقيق النّظافة، الشعبيّة، والصّحة
إكاداسي <i>Ekadasi</i> (إنّه اليوم الحادي عشر من كلّ شهر) وهو الصّوم الأكثر رواجاً عند غالبية الهندوس والذي يأخذ رونقاً خاصّاً حسب وفاق حدوته في أيّام الأسبوع	بحسب وفاق الطبقة أو العبادة • أمالاي : يُهدى للإله فيشنو ولتكرّم شجرة أمالاي (نوع من الحمضيات) • أنادا : فيشنو ولاكشمي	نهار كامل مرتان في الشهر القمريّ • أمالاي (في فترة شهري شباط وآذار) • أنادا (في فترة شهري آب وأيلول)	انقطاع كليّ عن الطعام والماء نهاراً، صلاة وتأمّلات ليلاً. (يُسمح في بعض الحالات والأمكنة بتناول وجبة واحدة إمّا ظهرًا أو مساءً ولكن تُمنع الحبوب منعاً باتاً) إذا صادف الحادي عشر نهار خميس وُجبت ممارسات وصلوات وطقوس خاصّة • زيارة فيشنو وتقديم قرايين له ولشجرة أمالاي	يمحو الخطايا ويطهّر الروح، يروّض الجسد ويساعد على الأعمال الصالحة مع موكشادا إكاداسي <i>Mokshada Ekadashi</i> يسعى المؤمن للوصول إلى التحرّر الكامل والإستنارة : موكشا
بورنيما <i>Purnima</i> (اكتمال القمر)	يُهدى للإله غانيشا <i>Ganesha</i> (الصيّ برأس فيل). كإبن شيففا، إله الحكمة، الفطنة والذكاء وبالنتيجة إنّه شفيع المرّتين	في اليوم الرابع الذي يلي اكتمال القمر حيث يكون القمر في أبعى ضيائه ويسمّى <i>Sankashti Chaturti vrat</i>	يُفضّل البعض انقطاعاً تاماً عن الطعام طيلة النهار بينما البعض الآخر ينقطعون جزئيّاً	إذا وقّع حدوته نهار ثلاثاء فهذا يعني أنّ كلّ الخيرات ممكنة، بخاصّة السعادة والنجاح في الأعمال
الصّوم في بعض الإحتفالات : نافاراتري <i>Navaratri</i> شيفراتري <i>Shivratri</i> كاروّا شاوث <i>Karwa Shawth</i>		احتفال نافاراتري يصوم فيه البعض تسعة أيّام متتالية		

تحقيق التصبر والنجاح وبداية الدراسات الفيدية. ويعتقد المؤمنون أنّ هذا الصوم يساعدهم على تحقيق كلّ رغباتهم، بخاصة في العائلة	الأحد	مُهدى لسوريا <i>Surya</i> الشمس	رافيفار <i>Ravivar</i> <i>Chhath Puja Vrat</i>
من أجل كلّ الخرات الزوجية. تعتقد الفتيات العازبات أنّه بالصوم يحصلن على زوج كريم؛ كما يساعد المتزوجات على حياة زوجية ناجحة	الإثنين	مُهدى لشاندرا <i>Shandra</i> القمر وللإله شيفا <i>Shiva</i> يذكر الصائمون في هذا اليوم أيضًا غانيشا <i>Ganesha</i>	سومفار <i>Somvar</i> أو <i>Somavrata</i>
للإلتصاف، وللولادة وللصحة الجيدة ويعتقد المؤمنون أنّ هانومان يساعدهم على تحطّي مصاعب الحياة	الثلاثاء	مُهدى إلى المريخ <i>Mars</i> وشري كارتيكيا، لشيفا ولآلهة الحرب، بخاصة لهانومان <i>Hanuman</i> (بطل الرامايانا وهو ابن الإله الريح المتجسد على شكل قرد وبيّ ومخلص)	مانغلفار <i>Mangalvar</i>
للتربية والتّجّاح في الأعمال. يمارسه خاصة الزوجان لنجاح حياتهما الزوجية	الأربعاء	مُهدى إلى عطارد <i>Mercury</i> والإله شيفا	بودثفار <i>Budhvar</i>
للتربية والتحصيل العلمي وللحياة الرغيدة	الخميس	مُهدى إلى المشتري <i>Jupiter</i> وبالطبع إلى الإله فيشنو <i>Vishnu</i>	برهاسباتيفار <i>Brhaspativar</i>
لأجل الازدهار، الزواج الناجح والحياة العائلية المتناغمة ووفرة الخيرات المادية	الجمعة	مُهدى إلى الزهرة <i>Venus</i> وبخاصة إلى الآلهة الأم شاكتي <i>Shakti</i> وغالبًا تذكر لاکشمي <i>Lakshmi</i> آلهة الصحة	شوكرافار <i>Shukravar</i>
يلتمس نعم زُحل والحياة الطويلة	السبت	مُهدى إلى زُحل <i>Saturn</i>	شانيفار <i>Shanivar</i>
لتطهير الجسم من بعض التّواسب المسّمة أما <i>ama</i> غير القابلة للهضم أو للشفاء، وإعادة تنشيط الخلايا والأعضاء	قد يكون ليوم واحد أو لثلاثة أيام، لسبعة حتى العشرة	ليس من إهداء عام بل عملاً بمقتضيات الصحة العامة. وقد تكون لاکشمي هي قابلة الدعاء	وجهة نظر أيورفيدا <i>Ayurveda</i> ممارسات يوغية طبيّة / الصوم وسيلة علاجية : شامانا <i>Shamana</i>

١٩. أكثر من أربعين نوعًا من الصوم تُضاف إلى العبادات التقويّة التي تميّز روحانيّة الهندوسيّ المتديّن بالفطرة والتي تربطه عُضويًّا بالأرض الأم وبالأفلاك المحيطة بها. من خلال هذه المجموعة المتنوّعة بأشكال الاحتفالات وصنوف التّقدمات من خيرات الأرض وتقاليد الآباء وتراثهم الثقافيّ والفنيّ والرّوحي، يمكننا أن نرسم صورة المؤمن الذي يضع إرادته الطّيبية أمام مرآة الذات الكلّية لتستمرّ لعبة عكس الأضواء في مسيرة الحجّ الدائمة، من معبد إلى معبد، ومن شجرة إلى شجرة، ومن نهر إلى نهر، حتى تتمّ عمليّة الإنصهار بالكلّ. تتعدّد الآلهة وتختلف الطرق، وتتمايز الممارسات بينما الذات الكلّية واحدة وهي بانتظار تسامي الجميع.

خاتمة

٢٠. وفي الختام قراءة في المندوكيا أوبانيشاد (١:١ و ٢ و ٤) وما طوّرتّه مخيّلة العابد الزاهد المترقّع عن الذات الفردية :

"عصفوران يحطّان على شجرة واحدة، جميلا الرّيش، زميلان في الكدن، رفيقان أزليّان ؛ الواحد يأكل من ثمار الشجرة الطّيبية، والآخر لا يأكل، بل يحدّث في رفيقه.

نفس الإنسان عصفورٌ يجالس الله، على شجرة الحياة، وفي عذوبته يهيم وينسى حاله، ولأنّه منقوص العظمة، يتملكه الأسي، فهو تائه. ولكن، ما أن يرى هذا الآخر، السيّد والحبيب، حتى يدرك عظمته في ما يرى، وينأى الحزن عنه.

لما يرى الرّائي المتوشّح بالذهب، السيّد، والرّوح، صاحب كلّ الأعمال، رحمَ براهما (Matrice du Brahman)، عندها ينفض عن جناحيه خطيئةً وفضيلة، ويرتفع نفسًا منزّهة حتى التساوي الأقصى.

هذه الأنا، بغية ومكافأة كلّ مناضل ومُتسابق، تُكسب بالحقّ وضبط النفس. تُرثخ بمعرفة كاملة وشاملة، يعيش إلهي، لأنّه واضح وحلي، في الجسد الباطنيّ، أنّ الذين يبحثون ويكدّون يتأمّلون في نهاية الضعف البشريّ."

عندما يصير المرء ما فيه يتأمّل، وما كان من طبيعة إيمانه (بهاغافات جيتا، ٣/١٧) ، يسمو إلى مرتبة النّهاية السعيدة، حيث يندثر الظلّ، ويضمحلّ الذوق (بهاغافات جيتا، ٥٩/٢) وتتلوّن العيون بشعاع الأبدية. متأمّل متّحد في الذات الكلّية، هائم في غمار النور، يحول الصائم جوعه ارتياحًا وشبّعًا فائضًا، فيثبت مقولة الغذاء الشعشعاني التي تكفي حياة الجسد. كيف ولو تكيف هذا الجسد مع متطلّبات الأشعة السّماوية، وضجّت عروقه بمدير الأنوار المحيية ؟ وسرّ ديمومة هذه الأنوار تدفّقها الواسع على كلّ الأجساد المريدة، المصقولة الحواس على وقع المانترا التي تتردّد وصمت التراب.

يوحنا عقيقي

- *Hinduism : The Rig Veda*, Translation by Ralph T.H. Griffith, Book-of-the-Month Club, New York, 1992
- *Laws of Manu*, George Bühler, translator, 1886 Sacred Texts Hinduism, *Sacred Books of the East*, Volume 25
- *Le Râmâyana*, Traduction d'Hippolyte Fauche, Pardès, 2003
- *Le Mahâbhârata*, Traduction de J.-M. Peterfalvi, GF Flammarion, I et II, 1985
- *Les Upanishâds, Source de sagesse*, Traduction et commentaire de Swâmi Nityabodhânanda, Maisonneuve et Larose, 1997
- *La Bhagavâd-Gita*, Traduction et commentaire de Srî Radhakrishnan, 2^{ème} édition Adyar, 1995
- Heinrich Zimmer, *Philosophies of India*, Bollingen Series Princeton University Press, 1989
- Jean Varenne, *Dictionnaire de l'Hindouisme*, édition du Rocher, 2002